شرح حديث أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي

قال المصنف رحمه الله: حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب... عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: { أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد قبل أن ينزل إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ } . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني زملوني. فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت له خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى. فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى يا ليتني فيها جذع، ليتني كنت حيًّا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟! قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي } . هذا حديث عن عائشة رضي الله عنها، وهي ما أدركته؛ ولكن حدثها به النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرت أولًا: أنه أول ما بدئ به الرؤيا الصادقة، الرؤيا في المنام، بحيث إنه يرى الرؤيا فإذا رأى رؤيا وأصبح تحققت تلك الرؤيا مثل فلق الصبح؛ بمعنى أنها تصير حقيقية، وقد قيل: إنه بقي كذلك نصف سنة وهو يرى أحلامًا فتتحقق؛ يراها في المنام، يرى أنه يحدث مرض فيحدث، يرى أنه ينشأ سحاب -مثلًا- في النوم فيقع ذلك حقيقة، وكذلك يرى في النوم -مثلًا- أنه يقال له كذا فيحدث كما رأى. وتسمى الرؤيا المبشرات، في حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { لم يبق من النبوة إلا المبشرات؛ الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له } وفسر بذلك قول الله تعالى: { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى } فسرت البشرى بأنها الرؤيا الصالحة، وجاء في الحديث: { الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان } الرؤيا التي يراها المسلم أو ترى له، ويدل وقعها على أنها من الله، فهذه من المبشرات، وجاء في الحديث: { الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة } والحاصل أنه بدئ بهذه الرؤيا، وهي من مقدمات الوحي.